الذي سرق نجمة مجموعة قصصية لسناء الشعلان

نزار حسين راشد

مجموعة سناء الشعلان القصصيّة"الذي سرق نجمة"،تطرح من جديد إشكالية العلاقة مع السلطة،وهي ثيمية تنتظم المجموعة كلّها،تشذُّ عن ذلك قليلاً حكاية"البحر لا يُصلّي"،حيث تنتقل هذه الإشكاليّة إلى الحيّز الأضيق،الفرد في مواجهة سلطة التقاليد أو سلطة المجتمع،ولأنّ البطلة أنثى،والخطيئة هي مرّةً أخرى الإستسلام للرغبة،أو التصرّف بالجسد،ربّما نجد أنفسنا أمام ثيمة مكرورة،ربّما تكون رسالة،تدغدغ الدوائرالثقافيّة الغربيّة المسيّسة،التي يُطربها دور المرأة الضحيّة في مجتمعاتنا الإسلاميّة،غير أن الجديد في الحكاية،أن الغرب الّذي يرفع منارة الحريّة،تنهار منارته عند الاختبار الأول،وتتحوّل إلى كهف مظلم عميق،تتردّى فيه أحلام البطلة،وهكذا يتحول الوعد إلى خذلان،والبشارة إلى جحيم!وهكذا تنجو الحكاية من تهمة التملّق الثقافي أو السياسي،للبشارة الغربيّة!

وتنجو منها مرّة أخرى حين تستعيد البطلة حكاية أمها عن صلاة البحر،وتعيد بناء ذاكرتها،بلبنات الماضي السعيد،المرتبط بالصلاة والفرح،وضريح الشيخ الصالح،وكأن حبل الذاكرة،يمتدّ من خلال ثغرة في باب العودة المغلق،ليحفز البطلة على البحث عن خلاصها،في تنشئة طفلتها،بعيداً عن الحضيض الذي تقبع فيه وقريباً من جدران الذاكرة التي تلقي بحبالها،لتعينها على الخلاص بانتشال طفلتهاوروحها من خلال الطفلة أيضاً،والعبور إلى نهايةٍ موعودة!

باقي حكايات المجموعة،ترسم إشكالية العلاقة مع السلطة،بتوظيف تقنية المبالغة،ودفعها إلى حدودها القصوى،حيث نُطِلُّ من أحد جانبيها على تعسّف السلطة وشططها ،الّذي يلامس حدود اللامعقول،وعلى الجانب الآخر نُطلُّ على المهزلة،على الجانب المرير المضحك،المخالف لمقاييس المقبول والمعقول،حيث تتقاطع خطوط الحكاية الكاريكاتورية،وتنتج لنا حُلُماً،حلماً لا معقولاً بدوره،ومضحك،ومع ذلك فهو مستوجبٌ للعقاب،في نظر السلطة المسكونة بالرُّعب،حتّى من أولئك الّذي يحلمون،أو يمضغون أفيونهم،بعيداً عن المواجهة معها،وهنا تسجل الثيمة نجاحها من خلال جدّة المعالجة،ورسم الخطوط البسيطة الرشيقة،التي تمنح الطرح حيويّة وقوّة،وتضعه على المائدة من جديد،لتشرك القاريء،في محاولة البحث عن حل!

الإيقاع اللغوي منتظم وخفيف،عبر سطور المجموعة،التي تتنقّل كأصابع عازف ناي،تتخللها رياح جورج أورييل،ونفحاته العابرة للذاكرة الأدبيّة،لتنتج الكاتبة من خلالها سياقاً يجعلنا نعيش الأزمة من جديد،ولتقنعنا أنّ الحلّ لم يأتِ بعد،وأننا لا زلنا في طور المعاناة،وأنّ علينا أن نشارك بدورنا في صنع هذا الحل المأمول!

أعتقد أنّه طرحٌ ناجحٌ بكل المقاييس،يرسّخ لدينا القناعة،أنّه في ظل التناول الناجح،تختفي إشكاليّة الجديد والقديم،حيث الحواريّة مستمرّة وهذه هي القيمة الأدبيّة الحقيقيّة!